

تقرير

خليفة حرب
khalilharb66@gmail.comتحت أعباء انفصال الجنوب وعقوبات أميركا
السودان أمام امتحانات أخطرها... الخبز

يمر السودان في مرحلة استثنائية في خطورتها. إذ لا تلوح بوادر تسوية تبعث على التفاؤل بانتهاء الازمة، مع استمرار الغليان السياسي والاجتماعي منذ اسابيع، كأن قدر السودانيون ان يحاصروهم التشرذم والمعاناة. بات هناك قتلى وجرحى في الشوارع، ما يؤجج المخاوف على مصير هذه الدولة العربية الكبيرة

لم تبدأ ازمت السودان في الامس القريب. بل يمكن القول انها ما انفكت تلازمه منذ ما قبل الاستقلال عن بريطانيا في العام 1956. لكن الانفجار الاخير في الشارع السوداني ارتبط مباشرة بالخبز، وتراجع قيمة العملة الوطنية في جيوب السودانيين. وهو تدهور راحت

لم تبدأ ازمت السودان في الامس القريب. بل يمكن القول انها ما انفكت تلازمه منذ ما قبل الاستقلال عن بريطانيا في العام 1956. لكن الانفجار الاخير في الشارع السوداني ارتبط مباشرة بالخبز، وتراجع قيمة العملة الوطنية في جيوب السودانيين. وهو تدهور راحت

لم تبدأ ازمت السودان في الامس القريب. بل يمكن القول انها ما انفكت تلازمه منذ ما قبل الاستقلال عن بريطانيا في العام 1956. لكن الانفجار الاخير في الشارع السوداني ارتبط مباشرة بالخبز، وتراجع قيمة العملة الوطنية في جيوب السودانيين. وهو تدهور راحت



السودان على الخريطة.



الرئيس السوداني عمر البشير.

الف كيلومتر مربع. وكانت التقديرات تشير الى ان انتاج النفط في السودان بلغ في العام 1999 نحو 450 الف برميل يوميا. مع استقلال الجنوب انخفض فورا الى 110 الاف برميل يوميا. كان السودان يتربع في المرتبة 20 عالميا في احتياطاته النفطية. وهو لا يزال يراهن على ان يصل الى قدرة انتاجية بنحو 33 الف برميل يوميا في العام 2030، اي نصف ما كان ينتجه قبل انفصال دولة الجنوب.

لكي تكتمل التراجيديا السودانية، اتهمت المحكمة الجنائية الدولية البشير بارتكاب جرائم حرب في العام 2008 في اقليم دارفور، اي بعد ثلاثة اعوام على ابرام اتفاق التسوية في الجنوب. ليس في الامكان تصور ماذا فعله تراجع مخزون الدولة من اموال المردود النفطي في الاعوام الثمانية الاخيرة، اي منذ استقلال الجنوب عام 2011، وماذا فعلته العزلة السياسية والاقتصادية للخرطوم والبشير باقتصاد السودانين، خصوصا مع وجود عقوبات اميركية منذ العام 1997. الدولة التي كادت ان تتحول الى منتج نفطي مهم في افريقيا، باتت مضطرة حاليا على

للمفارقة، جاء انفصال الجنوب في اللحظة التي كان السودانيون يستعدون للتنعم بموارد النفط. خسرت الخرطوم نحو 70% من عائداتها النفطية لصالح الدولة الوليدة التي تبلغ مساحتها 620

الحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامه جون قرنق حق تقرير المصير، وادى لاحقا الى استفتاء شعبي في الجنوب قرر بغالبية تخطت 90% للانفصال الكامل عن الشمال في العام 2011. لصالح الدولة الوليدة التي تبلغ مساحتها 620

العقوبات الاميركية

تؤكد الخرطوم ان العقوبات الاميركية التي فرضت عليها منذ العام 1997 سببت خسائر لاقتصادها تعادل اكثر من 50 مليار دولار. في الآتي ابرز القرارات التي اتخذتها واشنطن ضد السودان:

- في العام 1993، صنفت وزارة الخارجية الاميركية السودان ضمن لائحة الدول الراعية للإرهاب.
- في العام 1997، اصدر الرئيس بيل كلينتون امرا تنفيذيا فرض بموجبه عقوبات تجارية ومالية على السودان في اطار اتهامه بدعم الارهاب.
- في آب 1998، قصفت طائرات اميركية مصنع الشفاء للادوية بذريعة انه تابع لزعيم القاعدة اسامة بن لادن وينتج اسلحة كيميائية.
- في العام 2002، اصدر الكونغرس الاميركي ما يسمى "قانون سلام السودان" الذي ربط رفع العقوبات بتحقيق تقدم في مفاوضات الخرطوم مع المتمردين الجنوبيين.
- في العام 2006، وسع الرئيس جورج بوش العقوبات لتشمل الحظر على الافراد المتهمين بالتورط في حرب دارفور، والاستمرار في حجز اموال الحكومة السودانية، ومنع معاملات الاميركيين مع الخرطوم في ما يتعلق بالنفط والبتروكيميائيات.
- في العام 2006 ايضا، بعد عام من اتفاق السلام مع الجنوب، اصدر

الكونغرس "قانون سلام ومحاسبة دارفور"، ثم قانون المحاسبة ونزع الاستثمار في العام 2007 الذي فرض عقوبات على اشخاص تعتبرهم واشنطن مسؤولين عن الابادة الجماعية وجرائم الحرب في دارفور.

- كان على الخرطوم ان تنتظر حتى شباط العام 2015 لتتخذ ادارة الرئيس باراك اوباما قرارا بتخفيف العقوبات على السودان. بناء على ذلك، سمح بتصدير اجهزة اتصالات شخصية وبرمجيات. تتيح للسودانيين الاتصال بالانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي. ثم مددت ادارة اوباما في العام 2016 العقوبات لمدة عام، لكنها اعتبرت ان في الامكان رفعها في حال حققت الخرطوم تقدما في الملفات المتنازع عليها، وذلك مع انخراط البشير في حرب اليمن.
- في كانون الثاني 2017، اصدر اوباما قبل مغادرته البيت الابيض اوامر برفع جزئي للعقوبات بسبب التقدم الذي احرزه السودان. لكنه ابقى الخرطوم على لائحة الارهاب. سمح هذا القرار بالقيام بالتعاملات المالية التي كانت محظورة، مما يتيح للاميركيين القيام بتعاملات مالية مع افراد وهيئات سودانية، وبرفع حظر الاصول السودانية المجمدة.
- في العام 2017، اضاف الرئيس دونالد ترامب السودان الى لائحة الدول المتقاعسة عن وقف الاتجار بالبشر.

الكونغرس "قانون سلام ومحاسبة دارفور"، ثم قانون المحاسبة ونزع الاستثمار في العام 2007 الذي فرض عقوبات على اشخاص تعتبرهم واشنطن مسؤولين عن الابادة الجماعية وجرائم الحرب في دارفور.

- كان على الخرطوم ان تنتظر حتى شباط العام 2015 لتتخذ ادارة الرئيس باراك اوباما قرارا بتخفيف العقوبات على السودان. بناء على ذلك، سمح بتصدير اجهزة اتصالات شخصية وبرمجيات. تتيح للسودانيين الاتصال بالانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي. ثم مددت ادارة اوباما في العام 2016 العقوبات لمدة عام، لكنها اعتبرت ان في الامكان رفعها في حال حققت الخرطوم تقدما في الملفات المتنازع عليها، وذلك مع انخراط البشير في حرب اليمن.
- في كانون الثاني 2017، اصدر اوباما قبل مغادرته البيت الابيض اوامر برفع جزئي للعقوبات بسبب التقدم الذي احرزه السودان. لكنه ابقى الخرطوم على لائحة الارهاب. سمح هذا القرار بالقيام بالتعاملات المالية التي كانت محظورة، مما يتيح للاميركيين القيام بتعاملات مالية مع افراد وهيئات سودانية، وبرفع حظر الاصول السودانية المجمدة.
- في العام 2017، اضاف الرئيس دونالد ترامب السودان الى لائحة الدول المتقاعسة عن وقف الاتجار بالبشر.

انتقالية لوقف الانهيار الاقتصادي، ويشرف على تنظيم انتخابات وانهاء عزلة السودان خارجيا وانتشال العملة الوطنية.

انهت الجبهة في مذكرتها الحكومة باهمال تطوير القطاعات الانتاجية، وعلى رأسها الزراعة وانتهاج سياسات خاطئة ادت الى تفشي البطالة وتدهور الخدمات الصحية والتعليمية.

في المذكرة، حذرت الجبهة مع حزب الامة المعارض من ان "الاستمرار في رفض الانتقال الى نظام سياسي جديد ستترب عليه عواقب اجتماعية وسياسية وخيمة تؤدي بالامن الاجتماعي، وتزيد المواطنين معاناة وتورد البلاد مورد الهلاك".

السودانيون توافقون الى معجزة تخرجهم من الحال التي تحاصرهم منذ استقلالهم فيما بلادهم تتشظى وتحاصر وتفقر.



رئيس المخابرات عبدالله قوش.

والله ما عندنا مانع لان الجيش لما يتحرك ما يتحرك من فراغ ولدعم العملاء، بل يتحرك للوطن وحماية الوطن وحماية المكتسبات للوطن".

واطلق 22 حزبا سودانيا غالبيتها مشاركة في الحكومة، تحت اسم الجبهة الوطنية للتغيير، مبادرة اثار الكثير من التساؤلات والاحتمالات. اذ وقعت على مذكرة رفعت الى البشير تطالب بحل الحكومة والبرلمان، وتشكيل مجلس سيادي يقوم بتولي اعمال السيادة عبر تشكيل حكومة

السودان يسمى ربيعا عربيا ولو جاء متأخرا في السودان، كما قال محللون. المسألة الحساسة الان ان كل الغضب السابق المتراكم، بسبب هذا التدهور المعيشي تحديدا في لقمة الناس، ينصب على البشير الذي قد يناور مثلما يفعل منذ ثلاثين عاما من اجل البقاء، اذ يتسلح هذه المرة بورقة الجيش، وبورقة رئيس المخابرات صلاح قوش.

البشير قال في كلمة في مهرجان عسكري في عطبرة: "اذا جاء واحد لابس كاي (عسكري)



عرض شعبي من جنوب السودان.



من الاحتجاجات الشعبية.

داخل السودان، فهو اقل من ذلك باضعاف في بعض دول الجوار، ما ادى الى ازدهار عمليات التهريب اليها. كانت الحكومة حتى وقت قريب قادرة على توفير الدعم للخبز بشكل ناجح. الا ان الشح في النقد الاجنبي يعرقل احيانا كثيرة عملية تغطية هذه السلعة الحيوية لحياة الناس الذين اصطفوا في طوابير طويلة لساعات امام الافران، للحصول على ما هو متاح لهم من خبز. ليس مهما اذا كان الاحتجاج في شوارع مدن

جنيها. ارتفع سعر شوال الطحين من 550 جنيها (حوالي 30 دولارا) الى 900 جنيها، علما ان قيمة الدولار ارتفعت رسميا من 6.9 جنيها الى 18 جنيها والى 28 جنيها. هناك نحو 10 ملايين مواطن في الخرطوم يستهلكون اكثر من 30 مليون قطعة خبز في اليوم. ثمة عامل آخر، اذ توفر الحكومة الدعم للقمح بنحو 500 مليون دولار كل ثلاثة اشهر، لكن هذا الدعم، تستفيد منه دول الجوار. بينما يبلغ سعر شوال القمح المدعوم نحو 7.5 دولارات

سبيل المثال الى دعم الوقود بـ80 مليون دولار شهريا. كل المؤشرات كانت تقول ان انفجارا شعبيا كبيرا سيحصل. اجراءات تقشف، غلاء اسعار، انعدام سيولة في المصارف، نقص في الوقود، والاهم تراجع قيمة الجنيه السوداني بحدته. كان قرار زيادة سعر الخبز ثلاثة اضعاف كافيا لاشعال الاحتجاجات في عدد من المدن السودانية.

ازداد سعر رغيف الخبز من خمسين قرشا الى ما بين ثلاثة وخمسة

الرجل القوي

لكنه عين لاحقا مديرا لمصنع اليرموك للصناعات العسكرية، وساهم في انشاء صناعات عسكرية، وعاد الى جهاز الامن عام 2002. اما في حرب دارفور التي اعادته الى ادارة جهاز الامن والمخابرات، فقد ساهم فيها في تشكيل ميليشيا "الجنجويد" التي استخدمت في مواجهة المتمردين.

يقول موقع "تي آر تي" ان قوش ارتبك بعلاقات قوية مع المخابرات الاميركية، وساهم في تخفيف الضغوط الدولية والاميركية على الخرطوم من خلال تعاونه مع واشنطن في مكافحة الارهاب، وفي تسليم الاميركيين ملفات حول الجهاديين العرب الذين استقروا في السودان خلال التسعينات، بما في ذلك اسامة بن لادن.

اعتقل في العام 2002 بتهمة التآمر في مخطط لاطاحة البشير، لكنه خرج بعدها بعام بعد عفو رئاسي وعاد عام 2018 الى جهاز الامن.

يظهر ثم يبعد عن الساحة السياسية والامن في السودان. صلاح عبدالله قوش الذي تولى مجددا جهاز المخابرات الوطني السوداني في العام 2018، يؤدي ادوارا مهمة في حماية الرئيس عمر البشير، على الرغم من انه سبق ان اعتقل وسجن بتهمة محاولة الانقلاب على النظام.

مهندس تخرج في جامعة الخرطوم في العام 1982، وكان ناشطا طالبيا في صفوف جماعة الاخوان المسلمين، وانضم لاحقا الى جهاز الامن الداخلي في العام 1989، مع اعتلاء البشير السلطة بالتحالف مع المنظر الاسلامي الشيخ الراحل حسن الترابي.

يروى عنه انه ساهم في اعتقال شقيقه وسجنه لمدة عام بتهمة الانتماء الى الحزب الشيوعي. كما يعتقد انه اتهم بالتورط مع ناشطين اسلاميين من مصر حاولوا اغتيال الرئيس المصري الاسبق حسني مبارك في اديس ابابا عام 1995، ما ادى الى ابعاده من جهاز المخابرات عام 1996.

عمر البشير

ولد في قرية حوش بانقا بريفي شندي عام 1944. ينتمي الى قبيلة البديرية الدهمشية ومنزوح من امرأتين. تخرج في الكلية الحربية في العام 1967 ونال ماجستير العلوم العسكرية من ماليزيا. عمل فترة من حياته في الامارات، وعين قائدا للواء الثامن مشاة.

قاد الانقلاب ضد حكومة الصادق المهدي عام 1989 بدعم من حسن الترابي. تولى زعامة مجلس قيادة الانقلاب، ثم جمع منصب الرئيس ورئيس الوزراء حتى اذار العام 2017 حيث فصل بين المنصبين. في العام 2010، اعيد انتخابه رئيسا في اول انتخابات تعددية منذ تسلمه السلطة. وتجري محاولات لتعديل الدستور بما يتيح له الترشح مجددا للرئاسة في العام 2020.

في ايلول 2018، اجري تعديلا وزاريا من خلال حل حكومة بكرى صالح، وعين معتز موسى رئيسا للوزراء، وقصص عدد الوزراء من 31 الى 21. تعتبر فترة حكمه الاطول في تاريخ السودان الحديث.